



وداعاً.. مؤرخ الطبقة العاملة

2 يوليو 2008

د. رفعت السعيد

في زمان الستينيات من القرن الماضي، كان د. محمد أنيس في قمة توهجه وتبدي وكأنه يؤسس لعلم التاريخ، أكاديمية من تلاميذ إختارهم بعناية، واختار لكل منهم موضوع دراسته وأصبحنا نعرف كلا منهم بموضوعه ونضيف الموضوع إلي اسمه «علي مصر الفتاة» «عبدالعظيم الحركة الوطنية رؤوف الطبقة العاملة». وكما يتأخي الأشقاء تتأخي الموضوعات ويتأخي أصحابها.

كان رؤوف عباس منغمساً في تاريخ الطبقة العاملة، وأنا منغمس في تاريخ الحركة الاشتراكية وتأخينا، تبادلنا المعلومات والمراجع والوثائق وعشنا زمناً جميلاً نقضي كل قدرات شبابنا وكل ساعات يومنا في دار الكتب أو أرشيف القلعة، نصعد المرتقي علي أقدام شابة تنتشبت بكل طاقاتها بالمعلومة والوثيقة والمرجع. ود. أنيس خلف تلاميذه يراجع ويزجر ويغضب ويرضي، وأنا يلاحقني أستاذي البروفسور راثمان وتسير الكوكبة لنثمر لمصر أجمل ما كتب في تاريخ مصر الحديث.

وامتاز رؤوف عباس بحالة من «روقان البال» هادئ وغازب في آن واحد لا يبتسم إلا نادراً أو عندما تنهال بالملاعق الصدئة إلي «حلة» الكشري التي كانت الغذاء المفضل ليس من أجل مذاقه وإنما من أجل ثمنه لكل من يمضون طوال اليوم من التاسعة صباحاً إلي الخامسة وهم يقلبون المراجع وينقلون بشغف كل ما يعثرون عليه من معلومات ينقلونها في كشاكيل لا تنتهي لأنه لم يكن هناك مكان آخر، لا فوتو كوبي ولا ميكروفيلم ولا شيء سوي الورقة والقلم. أنا كنت مجبراً علي استئير ضحكهم إذا اجبرني أستاذي علي أن استخدم الكروت.. كل معلومة في كارت..

تعوضني الأيام.. رؤوف يصبح مدرساً فأستاذاً فعميداً.. ليس فقط عميداً بكلية الآداب وإنما عميد لجيل كامل من المؤرخين.

ويشذ رؤوف عباس كامل جهده فينشئ عبر علاقات حميمة مقراً رائعاً وجميلاً للجمعية التاريخية. لكن الذين لا يحبون الجمال في بلادنا أكثر كثيراً جداً من الذين يطمحون إليه فلم يجد رئيس الحي مكاناً لسوق خضار وسمك إلا عند مدخل مقر الجمعية التاريخية. وقضينا هو وأنا زمناً نحاول فقط أن ندفع هذا السوق بعيداً لكنه أصبح كقدر يلاحقنا ندفعه أمتاراً فيعود ليقترّب أكثر فأكثر.. ولم يكن رئيس الحي مخطئاً فهو مثل رؤوسائه لا يرون في «علم التاريخ» شيئاً مهماً. ألم تطارد وزارة التعليم علم التاريخ. طردته من المناهج وقلصت مناهجه وساعات تدريسه ودمجته مع الجغرافيا وموضوعات أخرى في منهج واحد اسمته «دراسات» وكان كلمة «تاريخ» مرفوضة بذاتها.. لذاتها.

زادت التكتشيرة الحانية في وجه رؤوف عباس، صوته يأتي في التليفون غاضباً عالياً يطلب مني ان افعل شيئاً وأبذل جهدي فيتراجع السوق بعيداً ليعود فيقترّب أكثر فأكثر.

هنا خيم الملل والغضب علي رؤوف عباس.. غضب فرحل.

وربما كان علي حق فثمة زمان لا يليق بأن تعلقه أسماء كاسم رؤوف عباس. رحل لأننا لا نستحقه.

www.al-ahaly.com/articles/08-07-02/1384-fst03.htm